معارك ساحل البصرة في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤

ا. ج. د. جعفر عبد الدائع المنصور

كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة البصرة

الملخص

بعد مرور اكثر من مائة سنة على الاحتلال البريطاني للعراق .ورغم الدراسات التي تعرضت لتلك الاحداث ،الا انها لم تركز على معارك ساحل البصرة التي تعد اول اصطدام بين القوات العثمانية والبريطانية .أذ مرت بها بعجالة ، علما ان القوات المحتلة قطعت مسافة اكثر من مائة كيلو متر، وحدثت اربع معارك هامة، واتخذت القوات المحتلة اكثر من مسار لها في تقدمها. وانصب الاهتمام على معركة الشعبية .

ان الهدف من دراستنا بيان الجوانب الاستراتيجية لتك المعارك المهمة، والتي كانت غائبة عن السلطات العثمانية ، اذا لم تعيرها الاهتمام المطلوب في حينها ، وبالتالي هي البوابة لسقوط البصرة وباقي المدن العراقية حتى الموصل .

Basra coast battles in World War 1914

Prof. Assist. Dr. Jaafar Abdel-Daem Al-Mansour

College of Education for Human Sciences/University of Basrah

Abstract

After more than a hundred years have passed since the British occupation of Iraq. Despite the studies that were subjected to these latest, they did not focus on the battles of the Basra coast, which are considered or collisions between the Ottoman and British forces. Meters, and four important battles occurred, and the occupying forces took more than one path in their progress. The focus was on the Battle of Al-Shuaiba.

The aim of our study is to thoroughly touch between the strategic aspects of these important battles, which were absent from the Ottoman authorities, if they did not give them the required attention at the time, and thus are the gateway to the fall of Basra and the rest of the Iraqi cities to Mosul .

يرجع تأريخ المصالح البريطانية في العراق عموماً، وفي البصرة بوجه خاص الى النصف الاول من القرن التاسع عشر. كون العراق يشكل اقصر طريق بين اوربا وجنوب شرق اسيا ، كما يوصل بين البحر المتوسط والخليج العربي والمحيط الهندي ، كذلك كان للعراق دور مهم في طريق القوافل التجارية الاقليمية والدولية ، التي تمر فية ، كطريق الحرير ، الطرق القادمة من الهند، وبلاد فارس وققاسيا الى سواحل البحر المتوسط . وفقا لما تقدم ارسلت بريطانيا بعثة لدراسة صلاحية انهر العراق للملاحة سنة ١٨٣٤، وكانت نتائج البعثة ان اثبتت صلاحية نهر

دجلة لملاحة السفن التجارية ، والقوارب التي يبلغ غاطسها من متر الى متر وربع ويكون عمق مجرى النهر (٥،٧٥)م، وعرض النهر من ٢٠٠-٣٠٠م^(١).

حسب تلك الدراسة وغيرها تولدت لدى البريطانيين فكرة الاحتلال العسكري للعراق والبصرة قبل سنوات من نشوب الحرب العالمية الاولى . ففي العقبة بين بريطانيا والدولة العثمانية سنة ١٩٠٦ . طرقت فكرة احتلال البصرة للضغط على الدولة العثمانية ، ولكن مجلس الدفاع الامبراطوري لم يقر الفكرة . ثم عادت حكومة الهند بطرح الفكرة مرة اخرى سنة ١٩١٢ . وعندما اخذ الوضع في اوربا يتجه الى التأزم في نيسان ١٩١٤ تجدد الحديث عن الفكرة واخذت الجهات المختصة دراستها^(٢).

وفي بداية بحثنا لابد من القول ان السياسة البريطانية في الشرق الاوسط تقوم على مركزين رئيسيين احدهما في الهند والآخر في مصر . وقد اصطلح على الاول بالمدرسة البريطانية الهندية او (المدرسة العربية الشرقية) . وعلى الثاني المدرسة البريطانية -المصرية او (المدرسة العربية الغربية) . فأصحاب المدرسة الاولى يعتقدون ان التوغل البريطاني في البلاد العربية يجب ان يبدأ من عدن والخليج العربي ، وينتهي في بغداد . اما اصحاب المدرسة الثانية فأنهم يرون من الاجدى ان تسيطر بريطانيا على مصر ، وتستولي على سوريا فتحمل عرب الشام على مقاومة النفوذ الفرنسي من التوسع في الشرق الادنى وبذلك تحمي الطريق بين الهند

والجزر البريطانية ، وتستحوذ على المدن الاسلامية المقدسة (مكة والمدينة و القدس) فتجعل العرب يدينون لها بالولاء^(٣)،أخذت بريطانيا تدرس مشروع كلا المدرستين ومدى ملاءمته لصالحها ،وامكانية تطبيقه على ارض الواقع .وفي خضم تلك الظروف بدأت الحرب العالمية الاولى في ٢٥ تموز ١٩١٤ ، بعد اغتيال ولي عهد النمسا فوانز فردينايد (Franz Ferdinand) في ٢٨ حزيران ١٩١٤^(٤).

ولم تدخل الدولة لعثمانية الحرب منذ بدايتها الا ان هناك عوامل مباشرة وغير مباشرة دفعتها الى دخول الحرب ومن تلك العوامل غير المباشرة هي :

١-المصالح الالمانية في الدولة العثمانية والمتمثلة بالفروض المالية وسكك الحديد التي يتولى الالمان تنفيذها ،وتدريب الجيش العثماني من خلال الخبراء الالمان وتسليحة .

٢- الاطماع الفرنسية والبريطانية بتقويض الدولة العثمانية وضرب الشعوب الاسلامية التابعة لها ومحاولة السيطرة عليها .

٣- التوتر بالعلاقات العثمانية الروسية بسبب الحرب الطراباسية والحرب البلقانية^(٥).

٤- اغلاق المضائق التركية ومنع الاتصال بين روسيا وحليفتيها فرنسا وبريطانيا

٥- اعلان الجهاد المقدس وجر المسلمين من اسيا الى اعلان الثورة على بريطانيا وفرنسا وارباك قواتها .

٦- احتلال القفقاس ودفع روسيا الى توزيع قواتها على جبهات عدة . مما يخفف الضغط على المانيا^(٦) .

وكان السبب المباشر لدخول الدولة العثمانية الحرب هو وصول سفينتين حربييتين الى المضائق العثمانية في ١١ اب ١٩١٤ مطاردة من الاسطول البريطاني اعطيتا حق دخول المضيق والرسو في الموانئ العثمانية .بينما اغلقت هذه المضائق بوجه الاسطول البريطاني في البحر المتوسط وبوجه الاسطول الروسي في البحر الاسود .وكان حجة استانبول ان تلك السفن

معارك ساحل البصرة في الحرب العالمية الاولى

اصبحت ضمن الاسطول العثماني .ولكن سرعان ما ضربت فجأة قطع الاسطول العثماني مع السفينتين الالمانية مينائي اوديسا وسباستوبول الروسيين^(٧) . في البحر الاسود بتاريخ ٢٩ تشرين الاول ١٩١٤ .وهكذا دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى بشكل فعلي ، ثم جاء اعلانها للحرب بشكل رسمي في الاول من تشرين الثاني في السنة نفسها . فما كان من روسيا الا ان اعلنت الحرب عليها في ٤ تشرين الثاني ثم لحقت بها بريطانيا وفرنسا في اليوم التالي ، اي في الخامس من تشرين الثاني ١٩١٤^(٨) .

ومهما يكن من الامر فإن تورط الدولة العثمانية في الحرب جعل خصومها يعيدون النظر في تقسيم مناطق النفوذ من خلال الاجهاز على الدولة واقتسام مستعمراتها . وكان العراق احد المسارح المهمة للحرب العالمية الاولى ،كونه جزء من الدولة العثمانية .اذ وقعت على ارضه العديد من المعارك الدامية بين القوات العثمانية والبريطانية .شارك العراقيون فيها (٩).

تلك الحرب التي كانت سببا في سقوط ملايين الضحايا وتدمير هائل لمعالم الحضارة البشرية وخسائر مادية كبيرة ،فضلا عن اتساع البطالة وتفاقم مظاهر الجوع والحرمان وانتشار الامراض والابوثة ناهيك عن اغناء كبار الرسماليين وتجار السلاح في العالم .

وخلاصة القول اذ انتصر الحلفاء في الحرب فسيكون مصير الدولة العثمانية التقسيم . بينما سيكون الحال عكس ذلك تماما اذا ما انتصرت المانيا .ولهذا حزمت امرها وارتمت في اتون الحربالى جانب المانيا مطلع تشرين الثاني ١٩١٤ .

اولا - معركة الفاو

تقع بلدة الفاو في اقصى جنوب البصرة ، وتبعد (١٠٥) كم عن مركز مدينة البصرة . وجاءت تسميتها مختصر للارض الواقعه على الماء (FWO) .ومن الجدير بالملاحظة ان بريطانيا قد سبقت تأريخ دخول الدولة العثمانية للحرب اذا انها بدأت استعداداتها لاحتلال الفاو منذ ١٨ تشرين الاول ١٩١٤ ، اذ وصلت قوة اطلق عليها قوة حماية بلاد وادي الرافدين من الهند الى البحرين^(١٠) ، ويبدو ان الرسالة التحذرية التي استعملتها السفينة البريطانية (اسبيجل

(Espiagle) من العثمانيين بضرورة مغادرة شط العرب في الاسبوع الاول من تشرين الثاني ١٩١٤ ، هي اشارة ببداية الحرب . اذ اعتبتها في الاسبوع الثاني قيام العثمانيين ببناء تحصينات وتعزيز موانعهم على ضفة شط العرب .

مما لاشك فيه ان بريطانيا كانت لها مجموعة مصالح تريد المحافظة عليها في حوض شط العرب والخليج ، في مقدمتها ، رغبة بريطانيا في حماية مصفى النفط في عبادان والمحمرة من تخريب العثمانيين لها في حالة دخولهم الحرب ضد بريطانيا وبذلك سيحرم الاسطول البريطاني من اهم مورد للوقود . كذلك الخوف من اعتداء الحكومة العثمانية على الرعايا البريطانيين والهنود المقيمين في البصرة ، والغائها القنصلية والامتيازات الاجنبية . فضلا عن انقاذ شيخ الكويت والمحمرة اللذين يؤلفان جناحي للمؤسسة النفطية من تعديت العثمانيين عليها ، واغراقهم بالوقوف الى جانبها . وغير ذلك الاطماع البريطانية العديدة في العراق (١١) .

وبناءً على ماتقدم قررت حكومة الهند في ٣ تشرين الاول ١٩١٤ اسناد قيادة الحملة الى العميد (ديلامين Delamin) وان تضم القوة اللواء السادس عشر والبطاريتين الجبليتين الثالثة والعشرون والثلاثون ، وفي الوقت نفسة بدأ العثمانيون محاولة غلق شط العرب بأغراق السفينة الالمانية (اكبتانا Ekbatana) فيه ونصبت اربعة مدافع عند جزيرة الشمشومية في الشط ، وعززت الحامية العثمانية بالفني جندي والغاء القبض على بعض المتعاونين مع بريطانيا ، مثل مترجم القنصلية البريطانية في البصرة نعيم عبو (١٢) .

ومهما يكن من الامر فقد جاءت الاوامر في الوقت الذي كانت فيه الحملة قد هيات نفسها بالفعل للزحف بعد استقرارها في البحرين منذ الثالث من تشرين الاول (١٣) ، اصدر برسي كوكس (١٤) ، الضابط السياسي المرافق للقوات البريطانية يوم ٣ تشرين الثاني ١٩١٤ بيانا زعم فيه ان حكومتة قد اجبرت على الحرب نظرا للموقف المعادي من العثمانيين لذا ارسلت بريطانيا قواتها لحماية تجارتها واصدقائها واجلاء العثمانيين من المنطقة وان لا عداء لها مع العرب شريطة ان لا يحموا القوات العثمانية ولا يحملو السلاح (١٥) .

معارك ساحل البصرة في الحرب العالمية الاولى

يبدو ان كوكس كان يريد تجريد السكان المحليين من وسائل الدفاع عن انفسهم في ظرف غابت فيه السلطة المحلية الحامية وبذلك يسهل على جيشه الغازي التوغل بسهولة ومن دون مقاومة تذكر. وهي حالة طبيعية لاي غاز او محتل وهي نوع من المراوغة السياسية .

وتحقيقا للهدف المنشود تحركت القوات البريطانية من البحرين الى سد الفاو ، فوصلته في مساء ٣ تشرين الثاني ،اي قبل اعلان الدولة العثمانية الحرب بيومين ، وفي الخامس من الشهر نفسة تقدمت السفن الى داخل السد وفي فجر اليوم الثاني اي ٦ تشرين الثاني الى الفاو ، حيث اشتبكت مع القوات العثمانية المنتشرة هناك وبالرغم من المقاومة العثمانية المحدودة استطاعت اسكات المدافع وبدأت القوات المحتلة الانزال عند الضحى بالقرب من محطة البرق^(١٦) ولم تستغرق عملية النزول اكثر من ساعة واحدة ، انجز فيها احتلال الفاو يوم السادس من تشرين الثاني ١٩١٤ ^(١٧) .

كان مجموع القوات البريطانية التي احتلت الفاو هي (٤٥٥٨) جنديا و(١٧٣) ضابطا و(١٢) مدفعا . اما القوات العثمانية الموجودة في البصرة يوم اعلان الحرب لايتجاوز افرادها ثلاث الاف مقاتل ^(١٨) .

ففي الوقت الذي كان الجانب البريطاني قد استعد للاحتلال البصرة ،كانت القيادة العثمانية ترسل القوات المتيسرة لديها نحو الجبهة مع روسيا ولم تعط البصرة اهمية تذكر في خططها الحربية ، اذ انها اعتبرت العراق كله ساحة حرب من الدرجة الثالثة ، يمكن الدفاع عنه بقوات الدرك وحرس الحدود مع من ينظم لهم من القبائل . وكان اغلب اولئك الجند في حالة مادية سيئة جدا مما سبب استيائهم الشديد . لذا حدثت في صفوفهم(٦٠٠) حالة هروب منذ اعلان التعبئة العامة ^(١٩) .

مما سبق يتضح لنا ان الدولة العثمانية اهملت امر الدفاع عن العراق وجردته من القوات النظامية ما عدى فرقة البصرة ، وكان اعتمادها بشكل كبير على المتطوعين من اهل المدينة . وهذا هو ديدن المحتل دائما ما يتخلى عن اهل المدينة في اوقات الشدائد .

اما السلطات العثمانية في البصرة فلم يصل لها خبر احتلال الفاو الا في اليوم التالي من الموظفين الذين غادروا المنطقة الى البصرة وذلك لان القوات البريطانية قامت بقطع اسلاك التلغراف التي تربط الفاو بالبصرة^(٢٠).

ثانيا / معركة السبية^(٢١)

بعد ان انجز احتلال الفاو من القوات البريطانية وضعت خطة بالتقدم الى البصرة. وكانت الخطة على محورين احدهما بري ، والثاني مائي من خلال شط العرب .

ترك قائد الحملة البريطانية فصيل من الجنود في الفاو وقاد جنودة برية مسافة (٤٥كم) شمالا وكان الهدف هو حماية مصفى نبط عبادان ، فلما وصل الى المكان ، وجد ان الزورق الانكليزي سبيكل قائما على حراسة المصفى ، اثناء ذلك نزلت القوات البريطانية الى الاراضي المقابلة للمصفى ، وهي منطقة السبية وتحصنوا فيها^(٢٢) . من دون اي مقاومة تذكر وذلك يوم ١١ تشرين الثاني ١٩١٤^(٢٣) .

وعند وصول الاخبار الى السلطات العثمانية في البصرة ، قامت بأرسال قائد الفرقة (٣٨العسكرية) مع ثلاث افواج مع بطرية مدفعية لمهاجمة البريطانيين الذين كانوا قد اكملوا انزالهم في السبية ، وكانوا على استعداد لمواجهة القوات العثمانية من خلال المعلومات التي حصلوا عليها من حليفهم امير المحمرة الشيخ خزعل بن جابر من مردو^(٢٤).

وفي السياق ذاته فأن بريطانيا نجحت في استمالة الشيخ خزعل الى جانبها من خلال الوعود التي وعدته بها ، وكذلك اعطاؤه (٣٠٠٠) بندقية من نوع مارتيني-هنري ومليون طلقة ذخيرة حربية واكدت له ان الغاية المتوخاة من دخول القوات البريطانية فتح شط العرب للتجارة الدولية بين بلاده والخارج ، وان هدف الحرب هو القضاء على النفوذ العثماني وتحرير العرب^(٢٥).

وعودا لما سبق ذكره ففي ليلة ١٠-١١ تشرين الثاني شنت القوات العثمانية ومن معهم من المتطوعين من ابناء العشائر الذين وزعت على بعضهم البنادق هجوما على موقع الجيش

معارك ساحل البصرة في الحرب العالمية الاولى

البريطاني الا ان البريطانيين صدوه وانتصروا بعد انسحاب القوات العثمانية الى منطقة سيحان ، وقد تكبدت خسائر بلغت (٣٧ قتيلًا) (٢٢ جريحًا) فضلا عن مقتل قائد الهجوم العثماني الضابط تحسين افندي ، بالوقت الذي لم تتجاوز فيه خسائر القوات البريطانية في المعركة سوى مقتل خمسة جنود مع ضابطين واصابة ضابط واحد بجروح^(٢٦).

ومن الجدير بالذكر ان حركة القوات العثمانية في التصدي للقوات البريطانية كانت غير مدروسة ، وملئة بالاطعاء في شكل التقدم او في التعبئة والتحصين ، ولم تقدم الاستخبارات العثمانية اي معلومات تذكر لقائد القوة عن الموقع البريطاني ولم تكن لديها خريطة عن المنطقة. وقصارى القول ان القيادة العثمانية اعتمدت على الارتجالية من دون التخطيط والحسابات العسكرية ، علما انها تقاتل على ارضها. بالوقت الذي كانت الخطط العسكرية والامدادات البريطانية من الهند مكنتهم من دحر عدوهم في الفاو والسيبة^(٢٧).

ثالثا/ معركة سيحان

بعد هزيمة القوات العثمانية في السيبة يوم ١١ تشرين الثاني انسحبوا الى قرية سيحان^(٢٨). التي تقع شمال السيبة بحوالي سبعة كيلو متر . وفي الوقت ذاته وصلت الى السيبة يوم ١٤ تشرين الثاني سبع عشرة باخرة بريطانية محملة بالجنود وبذلك تكونت فرقة عسكرية كاملة ، و جاء مع البواخر قائد اعلى رتبة من ديلايين وهو الجنرال (ارثر باريت A.Arnold Barrett) فاصبح ديلايين تحت امرته ، وبمجرد استلام الاخير القيادة حتى وصلته برقية من حكومة الهند تنص على ((ليكن هدفك البصرة، فأذا رأيت بعد تبادل الرؤى مع ديلايين ، واذا كانت القوة التي لديك كافية فعليك بالتوجه اليها))^(٢٩).

ومن جانب اخر اقترح وكيل والي البصرة العثماني العقيد صبحي بيك الذي كان قائد الجيش في المدينة على الشيخ خزعل السماح لقوة كبيرة من الجنود العثمانيين منتكرين في التمركز فوق سطوح المنازل على جانبي نهر الكارون ليقوموا بتغطية ومساندة هجوم مدافعي يخططل شنه الجيش العثماني في جزيرة (دبا، وام الرصاص) على السفية الحربية البريطانية سيجل التي كانت راسية في نهر الكارون ، ولكن الشيخ خزعل رفض هذا الاقتراح^(٣٠).

يبدو ان الشيخ خزل قد اوصل تلك المعلومات الى الجنرال باريت قائد القوات البريطانية الذي وصل يوم ١٤ تشرين الثاني الى السببية وقد وصلت معلومات استخبارية الى القائد البريطاني ، ان العثمانيين يتمركزون في قرية سيحان فأصدر القائد اوامره الى الجنرال ديلامين بمهاجمتهم ، وكان العثمانيون قرابة ثلاثة الاف رجل ثلثهم من متطوعي العشائر ، وقد احتلوا موقعا عند غابات النخيل التي تمتد على ضفاف شط العرب . فهاجمت القوات البريطانية القوات العثمانية ، واشترك الزورقان الحريان بالقتال من جهة الشط مما ادى الى تقهقر العثمانيون بعد قتال شديد على طول الخط . وفي ١٧ تشرين الثاني ١٩١٤ زحفت القوات البريطانية كلها الى قرية سيحان ، فوجدوها خالية من القوات العثمانية .^(٣١)

مما لاشك فيه ان معركة سيحان لم تكن معركة بسيطة ، فقد استمرت يومين الى ثلاثة ايام (١٥-١٧) تشرين الثاني واشتد القتال في الساعات الثلاثة الاخيرة ، فتكبد العثمانيون خمسين قتيلًا ونحو مائة جريح وخمسة وعشرين اسيرا ورشاشين ، وتكبد البريطانيون ستين مقاتلا بين جريح وقتيل^(٣٢).

يبدو ان مراهنات البريطانيين على اثاره النعرات والفتن المذهبية والدينية والطائفية قد فشلت . اذ قاتل العراقيون الى جانب العثمانيين المسلمين من كل الطوائف والقوميات قتال رجل واحد دفاعا عن وطنهم ومصالحهم المشروعة وانها المرة الاولى منذ قرون عديدة تظهر فيها الوطنية العراقية بهذا المستوى من القوة والشموخ والعمق وتتحول الى سلاح واحد بوجه المحتل في ميزان المعركة وذلك دفع المقاتلين من اهل المنطقة لبناء مواضع دفاعية في سيحان ساعدتهم في مقاومة المحتل البريطاني .

وفي السياق ذاته لجأت السلطات العثمانية الى حشد القبائل ، ورجال الدين السنة والشيعة للمساعدة في طرد القوات البريطانية ، والتصدي لها. من خلال اصدار الفتاوى ، بأعلان الجهاد، وكان مهمة الحصول على تلك الفتاوى من علماء الشيعة ذوى التأثير على العشائر الجنوبية في ولاية البصرة اكثر اهمية وصعوبة ، كون الشيعة لا يعترفون بخلافة العثمانيين . وقد استعانت الدولة العثمانية من اجل هذا الغرض ببعض النواب الشيعة في مجلس المبعوثان

معارك ساحل البصرة في الحرب العالمية الاولى

العثماني . في الوقت ذاته بذل البريطانيون جهودا مضادة للتأثير على افكار ومواقف اولئك العلماء الشيعة (٣٣).

وفقا لما تقدم اصدر بعض مجتهدوا النجف الاشرف وهم كل من السيد حسين الحائري والسيد مصطفى كاشفي والسيد على الرفيشي وشيخ الشريعة الاصفهاني والسيد محمد كاظم الطباطبائي والسيد على البريزي والسيد اسماعيل الصدر والسيد محمد سعيد الحبوبى ، بيانا اعلنوا فيه وجوب الدفاع عن بيضة الدين ووجوب الجهاد الى صف الدولة العثمانية (٣٤).

وفي السياق ذاته يبرر المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي برسي كوكس المرافق للقوات البريطانية ان التحرك العسكري البريطاني موجه ضد المحتلين العثمانيين ، وتعهد بالحفاظ على المدن والاماكن المقدسة في العراق وذلك في الاول من تشرين الثاني ١٩١٤ اي في الايام الاولى للحملة (٣٥).

رابعا/ معركة كوت الزين (٣٦)

ان سياسة الدولة العثمانية العنصرية والطائفية التي اتخذتها طيلة القرون الاربعة التي حكمت فيها العراق وما رافقها من بطش وارهاب وتخلف . تلك السياسة التي ادت الى تفرقة وتقسيم المجتمع العراقي وزرع حالة من الحقد عند المجتمع من الدولة العثمانية .تلك الحال ساعدت بما لايقبل الشك القوات البريطانية المحتلة في تحقيق اهدافها.

وخلافا لما تقدم فقد جاءت فتوى الجهاد التيصدرت من رجال الدين من مختلف المذاهب في العراق بتحقيق حالة من الوحدة والتآزر والتلاحم والشعور الوطني بين ابناء المجتمع .فقد هب وجهاء المجتمع الى الدفاع عنه ومنهم الشيخ عجمي السعدون (٣٧) . اذ كان يوم ١٦ - ١٧ تشرين الثاني / ١٩١٤ يقود مئتين وخمسين من رجاله ويحوم بهم ميدان المعركة . (٣٨) اذ بلغ مجموع ابناء العشائر ما يقارب الثلث من مجموع القوات العثمانية البالغة ثلاثة الاف مقاتل (٣٩).

وبعد تراجع القوات العثمانية في معركة سيحان ،قامت بحفر خنادق لها في كوت الزين في قرية تسمى سهل (٤٠) وطلب منهم قائد القوة العثمانية بأن يدافعوا عن خنادقهم حتى النفس الاخير وان من يترك خندقا سوف يندم . (٤١)

وفي ١٧ تشرين الثاني ١٩١٤ هاجمت القوات البريطانية بلوائين ((١٦-١٨)) الجيش العثماني في كوت الزين ودارت معركة شرسة بين الجانبين . وكان للمجاهدين من ابناء العشائر دور فعال وبسبب عدم تكافؤ القوى بين الجانبين من ناحية العدد والعدة مالت الكفة باتجاه القوات البريطانية (٤٢) .

وقد وصف احد المقاتلين في مذكراته يقول ((وقد نشب القتال وتكبد الانكليز خسائر فادحة لانهم كانوا يتقدمون في العراء مكشوفين على شكل قداما تتلوه بعضها بعضا ، وكانت كل قدمة منهم تنبطح وتطلق الرصاص ، بينما كانت القدمة التي ورائها تتقدم الى الامام وعند وصول الزحف الانكليزي على بعد ثلاثمائة متر منا، كان العتاد لدينا قد نفذ واصدر عادل بيك امره الينا بالقتال بالسلاح الابيض ، وعند خروجنا من خنادقنا كنا عرضة لنيران العدو فهلك كثير منا واخذ الباقي اسرى من العدو . وكان من بين الاسرى قائدنا عادل بيك الذي قاتل حتى نفذ عتاده ،وانا)) (٤٣).

وهنا لا بد من القول ان القوات البريطانية استطاعت الاطاحة بالقوات العثمانية وقطع خط الامدادات والانسحاب عليها فترجعوا باتجاه بساتين النخيل للاحتماء بها ، فصلتهم نيران الاسطول البريطاني المرابط في شط العرب (٤٤) ، مما جعلهم يقاتلون قتالا شديدا بفعل روح الحماس العقائديه والدوافع الوطنييه ،حتى وصف لنا احد سكان المنطقه ان والده شاهد بعض جنث القتلى من الجانب العثماني وقد كانت احد ارجلهم مثنية ومربوطه بحبل ، وذلك لكي يمنع نفسه من التراجع في حال اشتد القتال ، وقد آل على نفسه اما النصر او الشهادة (٤٥) .

واستدلالاته بالمثل القائل (الحق بما شهدت به الاعداء) فقد ذكر المراسل الحربي المرافق للجيش البريطاني(ادموند كاندлер Edmund Eadler) ((كانت معركة الساحل) ويقصد كوت الزين وسهل) تحمل في طياتها دلائل بارزه ، لان الاتراك كانوا في موقف قوي بعد ان اتحدوا قوة كبيرة تقدر بخمسة الاف رجل واثنى عشر مدفعا لمواجهة قواتنا التي شنت هجوم بلوائين وبطاريتي ميدان جبليتين وسريتين من سلاح الفرسان وسريتي ازالة الالغام. ولمواجهة الزخم الشديد للمعركة اصدر اللواء ديلايين امرا بالتصدي للعدو بينما اشتبك اللواء الثامن عشر باستبسال مع قوات العدو مما اضطر القائد الى اطلاق النار على طول الجبهة من اجل بعثرة قوات العدو التي قاتلت ظهر اليوم . واننا واجهنا صعوبه بسبب وعوره الارض والاعاقات الكثيره للعدو)) (٤٦) .

معارك ساحل البصرة في الحرب العالمية الاولى

وليس ببعيد عن ذلك ،فان انتصار البريطانيين في هذه المعركة الشرسة والتي استبسل بها اهل البصرة في الدفاع عن مدينتهم (٤٧)، فان خيانه الشيخ خزعل كان لها الفضل في تراجع كفه البريطانيين في المعركة فبعد يومين من القتال الشديد وتواصل الليل بالنهار اي في يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩١٤ تبلغت القوات البريطانيه من الشيخ خزعل . ان العثمانيين قد بدأوا باعاده تجمعهم في اعالي النهر (اي نهر الكارون وتحديدا في المحمره) ليجعلوا منه موضع دفاعهم الرئيسيوانهم اغرقوا ثلاث سفن لسد مجرى النهر في القسم الاسفل من شط العرب . وعلى ضوء تلك المعلومات قامت البارجه الحربيه البريطانيه سببكل يوم ١٩/ تشرين الثاني ١٩١٤ بقصف الموضع المذكور بالقنابل وكذلك ضرب السفينة الحربيه العثمانيه مرمريس في اليوم التالي (٤٨) .

لقد اثبتت معارك ساحل البصرة ،وخصوصا معركة كوت الزين ان العراقيين يمتلكون طاقات غير اعتيادية ويريدون التعبير عنها عبر المسالك الصحيحة ، تعبيرا صادقا وعميقا . ولكن عدم ثقتهم بالحكام العثمانيين كانت هي العامل الرئيس المثبط لهم . وبالتالي فهو العامل نفسه الذي كان السبب الرئيسي فشل العثمانيين في مواجهة البريطانيين . اذ ان فساد الحكام هو ما يهبط الروح الوطنية عند شعبة ، وعلينا ان نعي ذلك دائما .

ولللاستدلال التاريخي على ماتقدم ، نرى الرموز الوطنية التي اشتركت في معركة كوت الزين ،وقد استشهد البعض منهم دفاعا عن وطنه وليس عن الدولة العثمانية ، اذ بلغ عدد الشهداء في هذه المعركة (٢٢٠شهيدا) من عشيرة الصيامر (٤٩) . واستشهد الشيخ شلال مع مجموعة من افراد عشيرته اذ كان العدد الذي يرافقه من ابنائها من الشرش يبلغ بضعة الاف (٥٠). اما خسائر القوات العثمانية فقد بلغت (١٥٠قتيل) ونحو (٤٠٠جريح) وكانت خسائر البريطانيين (٥٤قتيلا) و(٤٣٥جريحا) (٥١)، وكذلك هناك عدد غير محدد من الاسرى العرب والعثمانيين احتجزوا في احدى البواخر البريطانيه لمدة عشرون يوما ، نقلوا بعدها الى الهند(٥٢).

وبعد خسارة العثمانيين معارك الساحل الاربعة اصبح الطريق مؤهلا الى البصرة . اذ ان معركة كوت الزين هي التي قررت مصير البصرة . فلم يعد للعثمانيين قوة تذكر ، هذا من جانب ومن جانب آخر فأن القوات البريطانيه حققت هدفها الاستراتيجي ، وهو حماية حقول النفط في عربستان ومصفى نفط عبادان .

الخاتمة

اثبتت الدراسة ان هذه المعارك هي المفتاح الاساس لاحتلال العراق. اذ انها اول اصطدام بين القوات البريطانية المتطورة والقوات العثمانية التي تكاد تكون من جيوش العصور الوسطى .

كذلك اثبتت ان اسلوب الخداع والكذب والشدة والفساد التي اتبعها الولاة العثمانيين هي لا تبني دولة حقيقية اذ ان الشعب يفقد ثقته بقيادته ويشعر بها غريبة عنه . ومن جانب اخر تبين ان الشعب الذي خضع للسيطرة العثمانية لمدة اربعة قرون ، مازال حيا ، فبمجرد نداء وطني من الرجال الذين يثق بهم الناس هبت جموعة للدفاع عن ارض الوطن بوجه المحتل الاجنبي .

الهوامش والمصادر

- (١) فراس ابراهيم حميد التميمي ، الملاحه في الانهر العراقية وموقف القبائل العراقية العربية منها ١٨٦٩-١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠١٥ ، ص ١٤ .
- (٢) خالد حمود السعدون ، الاوضاع القبلية في ولاية البصرة خلال الحكم العثماني الاخير والاحتلال البريطاني ١٩٠٨-١٩١٨م ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٣١٢ .
- (٣) ايناس سعدي عبد الله ، تأريخ العراق الحديث ١٢٥٨-١٩١٨ ، بغداد ، ٢٠١٤ ، ص ٥٨٤ .
- (٤) بيير رونفون ، تأريخ القرن العشرين ، ترجمة نور الدين حاطوم ، لبنان ، ١٩٦٥ ، ص ٣٦ .
- (٥) عبد العزيز نوار وعبد المجيد ننعني ، تأريخ المعاصر اوربا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٤٤٣ .
- (٦) رياض الصمد ، العلاقات الدولية في القرن العشرين ، بيروت ، ١٩٣٨ ، ج ١ ، ص ٣٣ .
- (٧) نوار وننعني ، المصدر السابق ، ص ٤٤٤ .
- (٨) رياض الصمد ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .
- (٩) كاظم حبيب ، لمحات من تأريخ القرن العشرين - بداية الاحتلال البريطاني للعراق ونهاية الانتداب (١٩١٤-١٩٣٢) ، اربيل ، ٢٠١٣ ، ج ٣ ، ص ١١ .
- (١٠) ادموند كاندلر ، احتلال العراق مشاهدات مراسل حربي مرافق للجيش البريطاني ١٩١٧ ، ترجمة محمد حسن علاوي وخضير علي سويد ، بيروت ، ٢٠١٧ ، ص ٢١ .
- (١١) ايناس سعدي ، المصدر السابق ، ص ٥٨٥ .
- (١٢) حميد احمد حمدان ، البصرة في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨ ، موسوعة البصرة التاريخية ، جامعة البصرة ، المركز الثقافي ، ص ٣٤٩ .
- (١٣) خالد السعدون ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

(١٤) بيرسي كوكس ١٨٦٤-١٩٣٧ ،سياسي بريطاني ساهم في رسم السياسة البريطانية في الوطن العربي بعد انهيار الدولة العثمانية ، حيث شارك قوات الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين في محاربة العثمانية وشغل منصب المقيم السياسي في الخليج العربي .يكيبيديا ، ar.m.wikipedia.org

(١٥) ايناس سعدي ،المصدر السابق،ص٥٨٨ .

(١٦)حميد احمد حمدان التميمي ، الاهتمام البريطاني المبكر بالبصرة ، موسوعة البصرة -القسم التاريخي ، جامعة البصرة ، العدد الاول ، البصرة، ٢٠١٣، ص٢٢٦.

(١٧) عبد الرزاق الحسني ، تأريخ العراق السياسي الحديث، بيروت ، ٢٠٠٨، ج١، ص٦٥.

(١٨) عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، بيروت، ١٩٣٥، ص١٠.

(١٩) خالد السعدون،المصدر السابق،ص٣١٤.

(٢٠)حسين هادي الشلاه، طالب باشا النقب البصري ودوره في تأريخ العراق السياسي الحديث ، بيروت، ٢٠٠٢، ص٣٧١.

(٢١) السبية : وهي تقع جنوب ابو الخصيب وتبعد عن مركز البصرة بمسافة ٦٥ كم ، بالتحديد مقابل مصفى نفط عبادان الايراني ، وتعد من املاك السلطان عبد الحميد الخاصة .منصور الحاج سالم السالم ، ابو الخصيب وشط العرب ذكريات تأريخية -اجتماعية - ادبية ، بغداد، ٢٠١٢، ص٣١ .

(٢٢) الحسني، العراق في دوري ، ص١١.

(٢٣) حميد حمدان ، الاهتمام البريطاني ، ص٢٢٧.

(٢٤) حسن موات حسين الفرطوسي، موقف عشائر جنوب العراق من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤-١٩١٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠١٧، ص٧٦.

(٢٥) انعام مهدي علي السلمان ، حكم الشيخ خزعل في الاحواز ١٨٩٧-١٩٢٥،بغداد،١٩٨٥،ص٩٢-٩٣.

(٢٦) حسن الفرطوسي، المصدر السابق، ص٧٦.

(٢٧) ايناس سعدي، المصدر السابق، ص٥٨٩.

معارك ساحل البصرة في الحرب العالمية الاولى

(٢٨) سيحان: هي قرية خالية من العمران التام ويملكها عبد الله بن عيسى بن ابراهيم ، وهو احد التجار ومن اشهر انهارها نهر الخوره ونهر الكوت .المصدر السابق، منصور الحاج سالم ،٣٣.وسميت سيحان لانها منخفضة بمستوى الساحل وبساتينها تسقى سحبا .وتتميز بخصوبة ارضها وكثافة نخيلها وعذوبة مائها وفيها عدد من المقامات الدينية للطائفة الشيعية .مقابلة مع الشيخ عبد الحسن الفرهاد المعرفاوي احد سكنة المنطقة ،موليد١٩٦٧،اجريت المقابلة بتاريخ ٢ اذار ٢٠٢٠ .

(٢٩) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث ، قم،٢٠٠٥،المجلد الثاني ج،٤،ص١٣٥ .

(٣٠) احمد باش اعيان ، موسوعة تأريخ البصرة،لندن،٢٠١٩،ج٢،ص٩٧١ .

(٣١) محمد طاهر العمري الموصللي، تأريخ مقدرات العراق السياسية، بيروت ،١٩٢٥،المجاد الاول،ص٩٠،

(٣٢) الحسنني ،العراق في دوري،ص١٢ .

(٣٣) انعام السلطان ،المصدرالسابق،ص٩١ .

(٣٤) احمد باش اعيان،المصدرالسابق،ص٩٧٣ .

(٣٥) حميد احمد حمدان ، البصرة في الحرب العالمية ،المصدرالسابق،ص٣٥٢ .

(٣٦) كوت الزين: قرية تمتد لمسافة ميل واحد ، وهي مواجهة لجزيرة ام الرصاص يتجاوز عدد سكانها الف نسمة ، من املاك الشيخ خزل . وعرفت بهذا الاسم نسبة الى رجل يسكنها يقال انه حسن الصورة وذو جمال باهر ومن خيرة رجال العرب . اتى من البادية ، سميت نسبتا اليه وسكنها جماعة من الفلاحين ومنهم بيت الحاج علي القيم سدنة ظريح مير ابو الحسنين . عبد القادر باش اعيان العباسي ، موسوعة تأريخ البصرة -خطط البصرة ، بغداد ،بدون تأريخ ، ج١، ص٢٢١ . وفيها الان مدرستان ومستوصف ومركز شرطة واغلب سكانها من عشيرة البو معرف وبيت كنعان . علما ان الباحث من سكنتها في سبعينيات القرن المنصرم .

(٣٧) وهو عجمي ابن منصور بن راشد بن ناصر بن سعدون مؤسس امارة المنتفق التي حكمت اكثر من اربعمائة سنة ، ويرجع نسبها الى اسرة الاشراف العلويين في الحجاز . نور حسن خلف العتابي ، عجمي السعدون ودوره في تأريخ العراق (١٩١١-١٩١٨)، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة، كلية التربية للبنات ،٢٦،٢٠١٥ .

(٣٨) المس بل، فصول من تأريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت، ٢٠١٠، ط١، ص٤ .

(٣٩) نور العتابي ،المصدرالسابق،ص١٢٨ .

(٤٠) سهل قرية صغيرة يسكنها الفلاحون وتعود الى الشيخ خزعل امير المحمرة . وفيها مقام ينسب الى سهل ابن عبد الله التستري ، والبعض يراه سهل بن الفضل ، احد قادة جيش الامام علي عليه السلام . منصور الحاج سالم ، المصدر السابق ، ص ٣٠ . ويقول احد سكنة المنطقة ان هناك اثار خيمة لاتزال تشاهد هناك في فصل الشتاء عند نزول المطر وكذلك توجد بعض الكتل الصخرية التي استخدمتها القوات في الحرب ، وترتبط تلك الكتل بحكاية سراق مرقد السيد صالح بن علي في التراث الشعبي لسكان المنطقة ، وهناك قصر يعود الى الشيخ جراح الصباح من امراء الكويت يقع على ضفاف شط العرب . مقابلة مع الحاج عامر سببتي مجيد المنصور مواليد ١٩٥٣ ، اجريت المقابلة بتاريخ ١٥ حزيران ٢٠١٨ ، في دار الواقعة في منطقة القبلة في البصرة .

(٤١) الوردى ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٤٢) حسن الفرطوسي ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٤٣) مذكرات محمد رؤوف السيد طه الشихلي ، مراحل الحياة . نقلا عن ، الوردى ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

(٤٤) عبد الرزاق الحسني ، العراق في دوري ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٤٥) مقابلة مع الحاج ثاني مجيد المنصور ، مواليد ١٩٢٩ ، اجريت المقابلة بتاريخ ١٥ كانون الاول ٢٠١٩ ، في دارة الواقعة في قضاء ابي الخصيب ، قرية ابو كوسرة .

(٤٦) كاندذر ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٤٧) لقد تجمع اهل الزبير من اجل مواجهة المحتل البريطاني ، وشارك عدد كبير من الشباب ، بقيادة الشيخ محمد الامير الشنقيطي ، في معارك سيحان وكوت الزين . احمد باش اعيان ، المصدر السابق ، ص ٩٧٩ .

(٤٨) المصدر نفسة ، ص ٩٧٩ .

(٤٩) حسن الفرطوسي ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٥٠) عبد الجليل الطاهر ، العشائر العراقية ، بيروت ، ٢٠١١ ، ص ٣٣٠ .

(٥١) عبد الرزاق الحسني ، العراق في دوري ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٥٢) الشихلي ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .